يرى البون شاسعاً بين آثاره فى أوج فورته وإبان نشطته ، وآثاره حين علاه الكبر وأدركه الكلال . فقد كان فى عهده الأول كشافاً عن الطبع الإنسانى الخالد ، يستوحى غرائز البشرية الباقية ، ثم انقلب فى عهده الأخير خطيب منبر ينشد الوعظ والإرشاد .

ولقد سئل الكاتب الأرلندى « برنارد شو » رأيه فى أديب معاصر كان وقتئذ على قيد الحياة ، فأجاب فى سخريته المأثورة عنه : مبلغ علمى أن هذا الأديب مات منذ عشر سنين ، ولكنه لم يدفن بعد !...

فهل أحسن القدر بزعيم الروس « ستالين » فهيّأ له منيته فى الوقت الملائم له ؟...

بديه أن يتضارب الناس فى الجواب عن هذا السؤال .

خصوم الرجل يرونه قد تأخر به حينه ، حتى غلبه المرض على أمره ... فهم يحملونه وزر ذلك القلق السياسى الذى أطبق على العالم فى الفترة الأخيرة . وعندهم أنه كان يتقمص فى شخصيته عقلية موطنه الأصيل « جورجيا » ، وما يتصف به أهل هذا الموطن من إمرة واستبداد ، شأن الحكام الشرقيين الأول . وإذا كانت صفات هؤلاء الحكام قد أفادت الزعيم فى مستهل الثورة الروسية فإنها غير صالحة لمسايرة العصر فى حكم الشعوب ، منافية لما يجب أن يكون